

## الفصل الخامس

فيما يقع بين الناس بغير حق

- ١ - ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَانَةُ وَبَاءَ وَبِعَضِبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾  
(البقرة: ٦١)
- ٢ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾  
(آل عمران: ٢١)
- ٣ - ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبِعَضِبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَانَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾  
(آل عمران: ١١٢)
- ٤ - ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ

## ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿

(آل عمران : ١٨١)

٥ - ﴿ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِثْقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ  
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ

(النساء : ١٥٥)

﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

٦ - ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفْرُكُمْ عَلَيْكُمْ

أَلَّا تَشْكُرُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا

أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقِي نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ

وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ

(الأنعام : ١٥١)

﴿ وَصَنَعْتُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

٧ - ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ

بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا

(الأعراف : ٣٣)

﴿ عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾

٨ - ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾

(الأعراف : ١٤٦)

٩ - ﴿ ... قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَن حَصْحَصَ الْحَقُّ ... ﴾

(يوسف : ٥١)

١٠ - ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ..... ﴾ (الاسراء: ٣٣)

١١ - ﴿ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ..... ﴾ (الحج: ٤٠)

١٢ - ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ..... ﴾ (الفرقان: ٦٨)

١٣ - ﴿ وَأَسْتَكْبَرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بغيرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ (القصص: ٣٩)

١٤ - ﴿ ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بغيرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ (غافر: ٧٥)

١٥ - ﴿ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بغيرِ الْحَقِّ ..... ﴾ (فصلت: ١٥)

١٦ - ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بغيرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الشورى: ٤٢)

١٧ - ﴿ ..... فَأَلْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بغيرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ (الاحقاف: ٢٠)

ان حقوق الناس وحرمتهم لا تصان وتحفظ إلا بالحق والعدل . ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط . وأمر بعبادته - وهى حق - ليشفق الناس من خشيته فيكفوا شرهم . ويرجون رحمته فيتراحموا . فيما بينهم - والراحمون يرحمهم الرحمن . وَطَلَبَ منهم أن ينصروه - وهو غنى عن العالمين - ليكونوا جنود حق ﴿وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز﴾ ونصرة الله لا تكون إلا فى حق وفى سبيل إعلاء كلمة الحق . وفرض عليهم فرائض يؤدونها تقربا إليه . وهى لهم - طهارة وتزكية وتراحمًا وبرا . وألفة وتعاونًا . ورحمة ومغفرة - ولا تزيد طاعتهم فى ملك الله شيئًا ولا تنقص معصيتهم من ملك الله شيئًا .

ومن تدبر أوامره ونواهيه وجدها جميعا لمصلحة الخلق . لاحقاق الحق واقامة العدل واشاعة البر والكف عن الافساد والشر . وقد جعل امتحانه لهم بأوامره ونواهيه فى مصلحتهم وجعل جزاءه على أعمالهم - وهو حق - تحريضا على فعل الخير رادعا عن ارتكاب الشر ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾

وأنزل الكتاب والميزان ليكون عونًا لهم على معرفة الحق واقامة العدل ولم يكلمهم إلى أنفسهم - فى بيان الحق وتحديد معالمه - حتى لا تكون أهواؤهم حَكَمًا بينهم ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ . فالقول بأن هذا حق أو باطل ليس قولهم بل هو قول من خلقهم وهو غنى عنهم وهورب العالمين . ولو ترك القول لهم - دون بيان وهدى منه - لأفسدوا وأضلوا ورأوا الحق لأنفسهم دون غيرهم وبعى بعضهم على بعض كما يحدث عند اتباعهم الباطل وإعراضهم عن الحق .

الحَقُّ من الله وبه تصان الدماء والأموال والأعراض ويحفظ العقل والدين وتلك هى مقاصد الشريعة وما تؤدى إليه .

ومن استخف بدم غيره فقد أباح دم نفسه . ومن استحل مال أو عرض غيره لم يسلم من استباحة ماله وعرضه . ومن تناول المفسدات لعقله لم تعقل نفسه عن الإساءة لغيره . ومن هان عليه دينه هانت عليه حرمت الناس . ومن لم يف لله الذى خلقه ورزقه - فلن يكون وفيا للناس ولا لنفسه . وإن بدا للناس منه غير ذلك فلمصلحة طارئة لا تلبث أن

تزول فيزول ما بدا من وفاء ويظهر ما خفى من غدر وجفاء . وثبات الفضائل وشمولها لا يستمد إلا من عصمة الإنسان بدينه وصدق خشيته من ربه . فتلك هي الرقابة التي لا تبارح الإنسان في سره وعلنه ولا تنفك عنه في عسر أو يسر أو شدة أو رخاء ولا يكيل الانسان معها بمكيالين أو يزن بميزانين وانما هو ميزان واحد مع العدو والصديق والقريب والبعيد :

﴿ ..... كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ

أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ..... ﴾ (النساء : ١٣٥)

﴿ ..... وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا

أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ..... ﴾ (المائدة : ٨)

ولتتدبر ما يقع بين الناس بغير حق لنرى لمصلحة من حكم بأنه ليس بحق . ولو كان الحكم للناس - وقد فعلوا ما ليس بحق - لقالوا إنه حق هروبا من تبعه القصاص والمؤاخذة .

ولا يكون الحكم مجردا عن هوى إلا من الله رب العالمين .  
ولا عصمة لاحد من هوى إلا من عَصَمَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .  
فالبيان بيانه والقول قوله والحق شرعته للناس اجمعين .

﴿ ... فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ

عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ..... ﴾ (المائدة : ٤٨)

إنه الحق تخضع له أهواء الناس ولا يخضع لهاهم وفي ذلك صلاحهم وفلاحهم ومصالحتهم اجمعين . وما يقع بين الناس بغير حق مدمر لدنياهم وأخراهم ومفض إلى عذاب أليم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّكَ بِغَيْرِ  
حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ  
النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ  
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَأْوَاهُمُ

﴿ مِنْ تَصْرِيفٍ ﴾ (آل عمران: ٢١، ٢٢)

من أبشع وأكبر ما يقع بين الناس بغير حق قتل النبيين فإن فيه من الجرأة على الفساد والإفساد والعداوة لله ما فيه .

وقتل النبيين لا يكون إلا بغير حق . ومرده إلى جحود الحق وعدم الرضا به ولا ينشأ إلا من الكبر والطغيان وحقيقته ليست في مظهر الإنسان بل في مخبره . كما جاء في صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » قال رجل : إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة ، قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس .

والذين يقتلون النبيين ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس لا يباليون بعد ذلك بحرمة أحد ولا يتورعون عن إيقاد نار حرب يبدو لهم فيها سراب أو يتوهمون من ورائها تحقيق كيد . ولا تشقى الانسانية بشيء كما تشقى بهؤلاء . فلا كفر أعظم من كفرهم ولا طغيان أشد من طغيانهم . ولذلك كان جزاؤهم من ربهم جزاء وفاقا في دنياهم وأخراهم . فالكبر الذى دَفَعَهُمْ إِلَى قتل دعاة الحق فضلا عن رده يفضى بهم إلى الذل والمهانة في الدنيا والآخرة كما قال الله عز وجل :

﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ  
اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ

النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

(البقرة: ٦١)

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٢٢)

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا لِمَنْ جَاءَ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنْ

النَّاسِ وَبَاءُ وَبِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ

الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

(آل عمران: ١١٢)

ومعلوم أن ذلك قد وقع في بني اسرائيل وهم يقتلون النبيين ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس - وقد أصابهم من الهوان والعذاب ما أصابهم .

ولكن ما فائدة الإخبار به لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بل للناس أجمعين والنبوة قد ختمت ؟ وما فعله بنو اسرائيل مع أنبيائهم من قبل قد حاولوه مع نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم ولكن الله عصمه منهم ومن غيرهم ؟

إن الإخبار به فيه تحذير للناس أجمعين أن تمتد أيديهم بسوء إلى دعاة حق وعدل في أى زمان ومكان والقرآن يتلى على الناس أجمعين . فليس حديث القرآن عما وقع من بني اسرائيل مع أنبيائهم حديثا عن تاريخ مضى وانقضى وإنما هى العبرة يسوقها للناس والتبصرة يقدمها لهم فى كتاب يرشد ويهدى للتى هى أقوم .

فالذلة التى لحقت بنى اسرائيل بسبب اعتدائهم ومعاصيهم يمكن أن تلحق بغيرهم إن هم أساءوا وعصوا . ولا محاباة فى سنن الله ولا مجاملة لأحد ﴿ ليس بأمانىكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءًا يجز به ﴾ فوصف حال السابقين فيه تحذير للاحقين . ومن

كان مثلهم لحق بهم ، ووصف بما وصفوا به وأخذ بما أخذوا به ﴿ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا﴾ .

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس . . ﴾ الآية يقول : «هذا ذم من الله تعالى لأهل الكتاب بما ارتكبهوا من المآثم والمحارم في تكذيبهم بآيات الله قديما وحديثا التي بلغتهم اياها الرسل استكبارا عليهم وعنادا لهم وتعاطفا على الحق واستنكافا عن اتباعه . ومع هذا قتلوا من قتلوا من النبيين حين بلغوهم عن الله شرعه بغير سبب ولا جريمة منهم إليهم إلا لكونهم دعوهم إلى الحق ﴿ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس﴾ وهذا هو غاية الكبر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «الكبر بطر الحق وغمط الناس» . وقال ابن ابي حاتم : حدثنا أبو الزبير الحسن بن علي بن مسلم النيسابوري نزيل مكة حدثني أبو حفص يعنى ابن ثابت بن زُرارة الانصارى حدثنا محمد بن حمزة حدثنا أبو الحسن مولى لَبْنِي أسد عن مكحول عن أبي قبيصة بن ذئب الخزاعى عن أبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله أى الناس أشد عذابا يوم القيامة ؟ قال : رجل قتل نبيا أو من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم﴾ الآية . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة . فقام مائة وسبعون رجلا من بنى اسرائيل فَأَمْرُوا مَنْ قتلهم بالمعروف ونهوه عن المنكر فقتلوهم جميعا من آخر النهار من ذلك اليوم . فهم الذين ذكر الله عز وجل» وهكذا رواه ابن جرير عن ابي عبيد الوصابى محمد بن حفص عن ابن حمر عن ابي الحسن مولى بنى أسد عن مكحول به ، وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : «قتلت بنو اسرائيل ثلاثمائة نبى من أول النهار واقاموا سوق بقلهم من آخره» رواه أبو حاتم ولهذا لما ان تكبروا عن الحق واستكبروا على الخلق قابلهم الله على ذلك بالذلة والصغار في الدنيا والعذاب المهين في الآخرة فقال الله تعالى : ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ . أى موجع مهين ﴿أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين﴾ .

وقال الزمخشري فيما قاله في تفسير هذه الآية «وهم أهل الكتاب قتل أولوهم الأنبياء، وقتلوا أتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لولا عصمة الله .

وقال الأستاذ سيد قطب عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بَأْنِهِمْ كَانُوا يُكَفِّرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ . قال : «ولم يشهد تاريخ أمة ما شهدته تاريخ إسرائيل من قسوة وجحود واعتداء وتنكر للهداة فقد قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناشير عددا من أنبيائهم - وهي أشنع فعلة تصدر من أمة مع دعاة الحق المخلصين - وقد كفروا أشنع الكفر، واعتدوا أشنع الاعتداء، وعصوا أبشع المعصية وكان لهم في كل ميدان من هذه الميادين أفاعيل ليست مثلها أفاعيل . ومع هذا كله فقد كانت لهم دعاوى عريضة عجيبة . كانوا دائما يدعون أنهم هم وحدهم المهتدون . وهم وحدهم شعب الله المختار . وهم وحدهم الذين ينالون ثواب الله ، وأن فضل الله لهم وحدهم دون شريك» .

وأقول : ان الآيات وهي تحبر عن هؤلاء الذين وقع فيهم ما ذكر تحذر من فعلهم وتبصر أهل الايمان حتى لا يقع فيهم ما وقع في الأمم من قبلهم من جحود للحق وقتل للذين يأمرون بالقسط من الناس أو اعتداء عليهم فان ذلك يجلب الفساد ويسوق العذاب .

فان الأمة التي فرض عليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أولى واجباتها حماية الداعين إلى الحق الأمرين بالقسط . وإذا فرطت فيهم أو رضيت بإساءتهم أو سكتت على أذاهم فقد رضيت لنفسها أن تساس بالباطل وأن تقاد إلى الضلال وأن تستخف من كل طاغية وأن تكون عوناً له وواجبها أن تقدم النصيحة في رشد وإن تنكر ما ليس بحق وإن لم تفعل أصابها ما أصاب الأمم من قبلها .

روى أبو داود والترمذي عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل

فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض . ثم قال : ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ﴾ إلى قوله ﴿فاسقون﴾ . ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم» هذا لفظ أبي داود .

ولفظ الترمذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصى نهتهم علماءهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال : « لا والذي نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا» . أى تعطفوهم .

وروى الترمذى عن حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» .

وروى النسائى باسناد صحيح عن ابى عبد الله طارق بن شهاب البجلي الأحمسي رضى الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم وقد وضع رجله في الغرز . «أى الجهاد أفضل؟ قال : كلمة حق عند سلطان جائر» .

ولا تجد مبررا لقتل الانبياء عند هؤلاء إلا جحود الحق ونكرانه . فإن الأنبياء لا يسيئون أحدا ولا ينافسونه على زينة حياة أو متاع ولا يسألون أجرا على دعوتهم وتبليغ ما أمروا به . فقتلهم حتى عند قاتليهم بغير حق . لان القاتل أى قاتل قد يذكر سببا لإقدامه على القتل . وقتل الأنبياء ينتفى معه كل سبب قد يزعمه القاتل سوى أنهم دعاة إلى الحق . فمن استباح قتلهم أو قتل الذين يأمرن بالقسط من الناس لا يريد للحق أن يكون

ويتوهم أن في قتل الداعين إليه قضاء عليه . ثم لا يلبث أن يرى بعينه ثبات الحق الذي قاتله وذهاب الباطل الذي اتبعه ولذا نرى جميع الآيات التي تحدثت عن قتل الأنبياء قد قرنت هذا الفعل بالكفر والعقاب عليه . . ليعلم أن هذا الفعل لا يقدم عليه إلا موغل في الكفر مد من في تناول الباطل غارق في الضلال والفساد .

وما رأينا أحداً عل مر التاريخ أقدم على قتل الأَميرين بالقسط إلا وفيه جحود للحق أو تبرم به أو خروج عليه . فان الراغب في الحق تطيب نفسه بمن يرده إليه أو يدله عليه أو يذكره به ولا يجد في نفسه حرجاً بل يرى في ذلك كما لا وشرفاً .

ومن ضاق صدره بالحق - الذي يعلم أنه حق - قد استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر ربه وشغله بدينياه عن آخرته .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ

الهُدَىٰ ۖ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ﴾ (محمد: ٢٥)

ومن علل النفوس أمراض قاتلة تفتك بأصحابها وهم يتوهمون أنهم قد قتلوا غيرهم مع أنهم قد قتلوا أنفسهم . وأشد الناس شقاء وخسرانا من طوعت له نفسه قتل من جاء ينقذه - بنعمة ربه - ويبربه ويرحمه . ومن رضى بفعله في أى زمن شقى معه وخسر . لأن إنكار المنكر أصل في إحقاق الحق وإقرار المعروف . . روى أبو داود عن عرس ابن عميرة الكندى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها . ومن غاب عنها فرضيها كمن شهدها » .

ولذا خوطب بنو إسرائيل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل أسلافهم من قبل لإقدامهم على مثل فعلهم ووقوعهم فيها وقعوا فيه من كفر وإصرار على القتل ونزل القرآن يوجه الخطاب إليهم بما فعل أسلافهم وكأنهم هم الفاعلون :

﴿ وَإِذِ قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْمِنُ بِمَا

أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ، وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا  
لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ

(البقرة: ٩١)

﴿ مُؤْمِنِينَ ﴾

وبميزان الحق ترى تحريم جميع المحرمات إبطالا لباطل . ومن وقع في الباطل -  
خاصم الحق وأخذ به . ولا ينقذه من ظلمات الباطل إلا خروج منه إلى نور الحق .

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ كُمِ أَلَّا تَشْرِكُوا  
بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ  
مَنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا  
الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا  
النَفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ

(الانعام: ١٥١)

﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

أمور خمسة ذكرت في هذه الآية كلها من الباطل الذي يجب أن يجتنب ومن المحرم  
الذي وصى الله بتركه والبعد عنه :

فالشرك بالله أصل كل باطل وشر يقع في الأرض وصّى الله بتحريمه احقاقا للحق  
وهو عبادة الله وحده وعدم الإشراف به .

وعقوق الوالدين باطل حرمه الله احقاقا للحق وهو الإحسان لهم والبر بهم بكف  
الشر عنهم وتقديم الخير لهم .

وقتل الأولاد باطل يجب أن يجتنب حرمه الله احقاقا لحق وهو رعاية حياتهم وحسن  
تربيتهم وشكر من خلقهم ورزقهم .

والفواحش ما ظهر منها وما بطن باطل نهى الله عن القرب منه فضلا عن مزاولته والدخول فيه . إحقاقا لحق وهو طهارة المجتمع مما يفسده ويدمر حياته ويصرفه عن أداء ما خلق له .

وقتل النفس بغير الحق باطل نهى الله عنه إحقاقا لحق . وهو صيانة الدماء والأرواح أن تزهق بغير حق . وما أمر الله به من قتل النفس بالحق إذا تدبرته رأيته درأ للفساد وابطالا للباطل وإبقاء للحياة . ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ . والمنهى عنه القتل بغير الحق لا القتل بالحق . يقول ابن كثير: «وهذا مما نص تبارك وتعالى عن النهى عنه تأكيدا وإلا فهو داخل في النهى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

وقد جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث الشيب الزانى والنفس والنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة» . وفي لفظ مسلم «والذى لا إله غيره لا يحل دم رجل مسلم وذكره .» وروى أبو داود والنسائي عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث خصال زان محصن يرحم ، ورجل قتل متعمدا فيقتل ، ورجل يخرج من الإسلام وحارب الله ورسوله فيقتل أو يصلب أو ينفى من الأرض . وهذا اللفظ النسائي .

وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه . أنه قال : وهو محصور سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : رجل كفر بعد إسلامه ، أو زنى بعد إحصانه أو قتل نفسا بغير نفس . فوالله ما زينت في جاهلية ولا إسلام . ولا تمنيت أن لى بدينى بدلا منه بعد أن هدانى الله . ولا قتلت نفسا بغير نفس» رواه احمد والترمذى والنسائي وابن ماجه وقال الترمذى هذا حديث حسن .

وقد جاء النهى والزجر والوعيد فى قتل المعاهد وهو المستأمن من أهل الحرب فروى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم مرفوعاً «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ریحها يوجد من مسيرة سبعين خريفا» رواه ابن ماجه

والترمذى وقال حسن صحيح . وقوله : ﴿ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ . اى هذا مما وصاكم به لعلكم تعقلون عن الله امره ونهيه .

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ  
وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ  
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾

(الاعراف : ٣٣)

والفواحش : ما فحش وشنع وأصله من القبح في المنظر . ثم استعمل فيها ساء من الخلق . وكذلك استعمل فيما شنع وقبح في النفوس .

والقبح والحسن في المعانى انما يتلقى من جهة الشرع . والفاحش كذلك فقوله هنا «الفواحش» إنما هى اشارة إلى ما نص الشرع على تحريمه في مواضع أخر . فكل ما حرمه الشرع فهو فاحش وإن كان العقل لا ينكره كلباس الحرير والذهب للرجال ونحوه . وقوله : ﴿ما ظهر منها وما بطن﴾ . يجمع النوع كله لانه تقسيم لا يخرج عنه شىء . وهو لفظ عام في جميع الفواحش .

«والإثم» أيضا - لفظه عام لجميع الأفعال والأقوال التى يتعلق بمرتكبها إثم . هذا قول الجمهور . وقال بعض الناس هى الخمر . وقد رده ابن عطية بعد أن ذكره لأن هذه السورة مكية ولم تُعن الشريعة بتحریم الخمر إلا بالمدينة<sup>(١)</sup> .

«والبغى» التعدى وتجاوز الحد كان الإنسان مبتديا بذلك أو منتصرا فاذا جاوز الحد فى الانتصار فهو باغ» .

«والبغى بغير الحق» هل تقييد البغى بهذا القيد يفيد أن «البغى» يمكن أن يكون بالحق أو أن التقييد لتأكيد البيان وأن كل بغى ليس بحق ؟ .

(١) يراجع المحرر الوجيز لابن عطية .

يرى ابن عطية أن قوله «بغير الحق» زيادة بيان وليس يتصور بغى بحق لأنه ما كان بحق فلا يسمى بغيا .

ولكن الراغب الاصفهاني في المفردات يقول «والبغى على حزبين : أحدهما محمود وهو تجاوز العدل إلى الاحسان والفرض إلى التطوع . والثاني مذموم وهو تجاوز الحق إلى الباطل أو تجاوزه إلى الشبه كما قال عليه الصلاة والسلام «الحق بين والباطل بين وبين ذلك أمور مشتبهات ، ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه» ولأن البغى قد يكون محمودا ومذموما قال : ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق﴾ . (الشورى : ٤٢) فخص العقوبة ببغيه بغير الحق» .

وأقول : إن ابن عطية يرى البغى كله مذموما وأنه ليس بحق ولا يسمى ما ذكره الأصفهاني بغيا ما دام في حدود الشرع . ولكن الاصفهاني : يرى أن منه ما يكون ممدوحا ومنه ما يكون مذموما . فما كان بالحق فهو الممدوح وما كان بغير الحق فهو المذموم .

فالخلاف بينها في التسمية وليس في الحكم أو المضمون . وهو ناشىء من النظر في القيد «بغير الحق» فابن عطية يراه زيادة في البيان . والاصفهاني يراه مخرجا لما كان «بالْحَقِّ» .

وأرى أن فهم ابن عطية للقيد «بغير الحق» أدق . واختياره بأن ما كان بحق لا يُسمى «بغيا» أصوب لأن تجاوز العدل إلى الإحسان - الذي ذكره الأصفهاني - والفرض إلى التطوع ليس فيه تعد أو مجاوزة لما حدده الشرع فلا يسمى «بغيا» والله أعلم .

والبغى «بغير الحق» خروج من حدود الحق إلى الباطل ومن حدود العدل إلى الظلم ومن التواضع إلى الكبر بل من التصديق والايان إلى الجحود والكفر . ومن استقامة النفس إلى الميل . خروج من اتباع الحق إلى اتباع الهوى . وكل ذلك وغيره تقع آثاره ونتائجه في حياة الناس وتراه قطعاً لأرحامهم وتفريقاً لجمعهم وإساءة لروابطهم وإشاعة للشر والفساد فيما بينهم . وإذا ساد البغى في أمة هان أمر الإنسان فيها فضعف شأنها

وذهب ريحها وتهبأت لبلاءٍ بل لدمارٍ وفناء .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ  
يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ  
﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾  
فَأَكْتَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ  
﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِ الْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

(الفجر: ٦ - ١٤)

إن ربك لبالمِرصاد لكل باغية وطاغية ومستبد سادرٍ في غيه مُصرٌّ على بغيه . مطمئن  
بدنيه معرض عن آخرته .

﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ  
أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ  
﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ  
وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ  
الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ  
مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ  
﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ ۗ رُسُلَهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

(ابراهيم: ٤٤ - ٤٧)

ذُو أَنْقَامٍ ﴿٤٧﴾

ان ما يقع بين الناس بغير حق مصدره فساد النفس وميلها عن القصد . والبغى تعد  
وتجاوز للحد وهو كبر وظلم يلحق بالناس أذى وبصاحبه سوء عاقبة ومصير . والإصرار

عليه مدمر لصاحبه ووباؤه ينتقل إلى غيره . وللبغاة مقلدون من سفلة الناس وطلاب المنافع . ولكل باغية بطانة سوء تعين على الفساد وتطلب القرب منه بما يجب من هضم الحقوق وإذلال العباد . والطاغية يستخف قومه ويطوعهم لمآربه وطغيانه . وأهل الفسق مطية كل باغ . وهم عبيد لمن يستبد أو يدفع الثمن . ومصيرهم يرتبط بمصيره . فاذا خاف من بطش أخافهم فبالغوا في طاعتهم له وخافوا على أنفسهم من تبدل حاله وذهاب ربحه . وهم أول من يظهر البراءة منه والسخط عليه . وسنة الله في خلقه أن يأخذهم مع من ركنوا إليه وأعانوه على بغى وفساد .

﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾  
 ﴿ فَلَمَّاءَ اسْفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾  
 ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَفَافًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾

(الزخرف: ٥٤-٥٦)

ومن ركن إلى الظالمين احترق بناهم وأخذ بطغيانهم . ولا سبيل للبعد عنهم والفرار منهم إلا في الإصرار على الصدق والاستقامة والثبات على الحق كما أمر الله :

﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكُضُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾

(هود: ١١٢-١١٣)

ومن أشد ما يعاقب به أصحاب البغى الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق أن يصرفوا عن الهداية وعن آيات الله التي كذبوا بها وغفلوا عنها . وهو جزاء وفاق يقابل دمارهم بدمار وسعيهم للتكبر بإذلال وخذلان وإيثارهم البغى وطلب العلو في الأرض بسقوط وهوان .

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ  
وَأِنْ يَرَوْا كَلَاءَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ  
الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ  
سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾  
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ  
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(الاعراف: ١٤٦-١٤٧)

والحق في جميع الأحوال ظاهر لا محالة . وصاحبه ينعم بحسن عاقبة ﴿ولا يجيق المكر  
السىء إلا بأهله﴾ . ومع تبدل الأحوال نرى أصحاب الكيد قد أخذوا وأصحاب الحق  
قد نصروا . ولصق بكل عمله وبقي له ذكره ولقد اتهم يوسف عليه السلام بغير حق  
وأدخل السجن وهو الكريم الذى أبى أن يسيء إلى من أحسن إليه . فأحب أن يسجن  
ولا يظلم .

وكم في دنيا الناس من برآء اقتيدوا إلى السجن بتهم باطلة وما لهم من ذنب سوى  
أنهم لم يُسْتَحْفُوا أو يستجيبوا لهوى ظالم أو مستبد . ولا غرابة أن يقع ذلك في دنيا الناس  
أو يكون . وعزاء أولئك جميعا أنه قد وقع مع الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم  
يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم .

ولكن هل يمكن أن يكون الحق أسير سجن أو قيد أو يخضع لهوى ظالم أو مستبد ها  
نحن نرى امرأة العزيز التى راودت واتهمت تقول ﴿الآن حصحص الحق﴾ . وتعترف  
أنه عليه السلام لم يراودها عن شىء ولكن هى التى راودته ﴿أنا راودته عن نفسه وإنه  
لمن الصادقين﴾ وقد يكون من يسوق التهم إلى الناس وهم برآء على غير مستوى امرأة  
العزيز في ندمها واعترافها بل فيهم من يكابر ويعاند وتأخذه العزة بالاثم مع ظهور دلائل  
الحق .

قد يكون فيهم من يصر على إخفاء الحقيقة وإبداء ما يناقضها وينسب لنفسه ما ليس لها ويرم بريتاً بما ليس فيه .

ولا شيء في دنيا الناس أصعب على النفس من اتهام برىء أو عقاب محق . ومن الناس من يلقى بخطيئته على غيره ويرمى باثمه من سواه :

﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ

(النساء : ١١٢)

بِهْتِنًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾

نعم قد يكون في الناس من يفعل ذلك ولكن هل يتوقف ظهور الحق على اعتراف أولئك . أم أن دلائله أقوى من كل كيد ومكر ؟ .

إن مثل هؤلاء الذين يتصورون أنهم يستطيعون إخفاء الحقيقة وإبعاد الحق كمثل من ألقى على وجهه غطاءً أسود كثيفاً وقال للناس لقد أخفيت عنكم الشمس فلن تروها بعد اليوم . والناس من حوله يعجبون له وهو يطالبهم أن يلقوا على وجوههم مثل غطائه وهو يقول ﴿ ما أرىكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾ . ثم يقودهم إلى كهف مظلم ويوهمهم أنه يمضى بهم في سبيل الرشاد . وما درى المخبول أن شمس الحقيقة لا تغيب . وأن غطاءه لا يلبث أن يكشف وغفلته لا تلبث أن تزول وأن الناس من حوله قد خدعوه حين صدقوه ولم يصدقوه . وأن الحق الذي تصور غيابه قد لقيه أمامه فوفاه حسابه . وإن الحقيقة التي بالغ في إخفائها ستنتطق بها أيد وأرجل ويختم على أفواه طالما نطقت بهتان وزور : ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ . (يس : ٦٥) .

وعندما يحشر أعداء الله إلى النار ويحس أولهم على آخرهم يفجؤهم ما تنطق به جلودهم - وما تنطق إلا بالحق . الذي أنكروه وبالغوا في إنكاره ويشهد سمعهم وأبصارهم وما تشهد إلا بالحق الذي أخفوا أبصارهم عنه وطمسوا آذانهم .

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١١﴾ حَقَّ إِذَا

مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجَلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَئِن لَّمْ نَكُنْ مِنْ عَدُوِّهِمْ لَكُنَّا أُولَئِ  
أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ  
وَالِيهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾

(فصلت: ١٩ - ٢١)

﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين﴾ قالته امرأة العزيز -  
وكانت قد ألحقت بيوسف عليه السلام ما ليس بحق - قالت الآن حصحص الحق - أى  
ظهر ولم تقل قد أظهرته . لان دلائله وأماراته لا تتوقف في كثير على اعتراف أو إقرار . بل  
قد يصير منكر على إنكاره فتأتى دلائل الحق على إصراره فلا يلبث أن ينطق بما أنكر  
ويعترف بما أخفى فيزهق باطله ويظهر الحق الذى لا يمكن أن تخفيه حيلة محتمل أو تدبير  
خائن ولو أيقن الناس بذلك لما أساءوا والغيرهم أو جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق .  
فالحق لا يدحض ولا يزهق لأنه أصيل ينفع الناس فيمكث في الأرض . وانما الذى  
يذهب ويبطل ويهلك هو الباطل لأنه لصيق كذوب لا ينفع الناس فلا يمكث ولا يبقى .

وما كان من عمل الناس بالحق بقى لهم وما كان من عملهم بالباطل ذهب جفاء أو  
تطايير هباء . وما من شأن من شؤون الخلق إلا وفيه بيان من الحق . وفطرة الخلق مبنية على  
الحق فليس الحق بعيدا عنهم أو دخيلا على فطرتهم . فاذا أمروا باتباع حق أو نهوا عن  
اجتناب ما ليس بحق لا يقع ذلك من نفوسهم موقع الغرابة أو النفور بل تستيقن به  
النفوس وإن جحد أصحابها «ظُلْمًا وَعُلُوًّا» .

﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ .

نهى عن قتل النفس تستيقن بحرمة فطرة الخلق . ويجرده من ظلم أو طلب العلو  
والفساد في الأرض . وهذا النهى عن القتل مقيد بأن لا يكون إلا بالحق . فما كان بالحق  
وجب أن يكون . ومن الحق أن يقتل من قتل قصاصا منه بالعدل وصيانة لحياة الناس  
وابقاء لها ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ . ومن اعتدى على أعراض الناس بعد إحصان ولم

تكن له شبهة يدرأ بها الحد وجب أن يقتل إقامة للحد وحفاظا على العرض . ومن فارق الجماعة فارتد إلى الباطل بعد أن هدى للحق وجب أن يقتل حفاظا للعهد وصيانة للجمع ووفاء للحق . وهذا ما جاءت به السنة بيانا للكتاب وتحديدًا لما استثنى بقوله «إلا بالحق» . فقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا باحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والزانى المحصن ، والتارك لدينه المفارق للجماعة» .

ودماء الخلق جميعا مصونة لا تهدر إلا بالحق . أى بأمر منه وحده - جل شأنه - لانه هو الذى خلق كل شىء ونزل الكتاب تبيانا لكل شىء فمن استباح دماء الناس بهواه عوقب من قبل الله . وما القتال الذى شرع بأمره وفى سبيله إلا حمى للناس من الظلم والفساد وحفظا لحقوقهم من التعدى والاعتصاب . ولا يشرع قتال بغير أمره ولا يؤذن به إلا عند وجود سببه وكل ما كان كذلك كان دفعا للفساد وحفاظا على حرمان ومقدسات العباد .

﴿ ..... وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

(البقرة: ٢٥١)

﴿ ..... وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ كُرِّفِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾

(الحج: ٤٠، ٤١)

وفي سبيل القيام بالمعروف والنهي عن المنكر وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يكون النصر والتمكين ويشرع القتال في سبيل الله حفاظاً على الحق الذي تصان به النفوس وتحترم الحقوق وتبقى الضوابط والحدود ولولاه لفسدت الأرض ولولاه لما أمن عابد أو متعبد في صومعة أو مسجد. ومن أخرجوا من ديارهم بغير حق أليس من حقهم أن يدفعوا عن أنفسهم ما ليس بحق؟ ألا يكون الاذن لهم بالقتال درأ للظلم وفساد؟

﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ . . . . .

(الحج: ٣٩ ، ٤٠)

ما ذنب أولئك الذين اخرجوا من ديارهم وما جريمتهم التي دعت إلى قتالهم وإخراجهم؟ لا شيء والله أبداً إلا أنهم يقولون ربنا الله. فليشرع القتال وليؤذن به من القوى العزيز القادر على نصر المظلومين والتمكين للمستضعفين وفي ذلك ما فيه من ردع للظلم ودفع للشر وإحقاق للحق وإبطال للباطل ورحمة للعالمين:

﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾

(الانفال: ٨)

والفساد في الأرض والسعي فيها بالباطل لا يردعه الا قتال بالحق والظلم بين الناس لا يرده إلا قوة ذات بأس شديد. قوة مؤمنة عادلة يمكن الله لها فيكون منهجها في الحياة:

﴿ ... أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُسْرًا ﴾

(الكهف: ٨٧ ، ٨٨)

وليس قوة غاشمة تنسى الغد وتبغى العلو والفساد في الأرض فتلك يسلم الله عليها  
من هو شر منها أو يأخذها أخذ عزيز مقتدر.

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ

(هود: ١٠٢)

أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿

هكذا يؤخذ الباطل ويدمر أهله وكثيرا ما يخربون بيوتهم بأيديهم أو يهزمون بأيدي  
المؤمنين . ولو كانوا قلة - اذا كانوا أوفياء للحق صادقين في نصرته مخلصين لله في تأييده  
والعمل به . تنصر القلة من المؤمنين لإحقاق الحق وابطال الباطل . والذين يتدبرون سنن  
الله في خلقه يدركون أن العقاب لا تكون إلا للحق .

وإن بدا أن أصحاب الحق قد غلبوا في لقاء فإنهم من بعد غلبهم سيغلبون ومن تدبر  
العواقب أيقن بهذه النتيجة نصر الحق وأهله ومحق الباطل وحزبه ومن غابت عنه هذه  
الحقيقة في دنياه أو لم يبصرها في عمره المحدود لم تغب عنه في آخره يوم يجد المرء ما قدمت  
يدها . والتأكيد على هذه الحقيقة في حديث القرآن يراد به أن يُعَلِّمَ الحق وأن يُعَمَلَ به وألا  
يُستخف الناس إلى أمر سواه . وعمر الانسان المحدود ليس هو البداية والنهاية للكلمة  
الخاتمة والأخذة الفاصلة - والموقن بالحق وبعاقبته يستمسك به ولو كان وحده ولو ملأت  
أحزاب الباطل بقاع الأرض من حوله وانقضى أجله قبل أن يرى هزيمة الاحزاب  
ووقوع العقاب :

﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي

وَعَدْنَا لَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ

إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ

وَسَوْفَ نَسْأَلُونَ ﴿

(الزخرف: ٤١ - ٤٤)

هكذا كان شأن أولئك الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله - كان لهم من الثقة في وعد الله ما حملهم على الصدق والصبر في البأساء والضراء ولم يتعجلوا أمرا يعلمون أنه ليس بأيديهم وإنما هو بيد الله . وكان يقينهم بالعواقب عاملا في إصلاح الرغائب فلا يرغب فيها تسوء عاقبته . ولا يحمله استبطاء أمر على استعجاله وهو يعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره . وكل ما يحرص عليه أن يستمسك بالحق وأن يعمل به وأن يسأل الله الثبات عليه وأن يكون حيث يرضى الله ويحب وأن ينصره في نفسه بتغليب أمره على هواه ﴿ قالوا ربنا الله ﴾ . وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فلم يركنوا الظالم أو يقعدوا عن نصره حق . وكانت هجرتهم هجرة راشد يعرف قصده ويعبد ربه ولا ينقض عَهْدَهُ . هجرة أبيّ ينشد معالي الأمور ويطلب نصره الحق ويأبى أن يكون قعيد دارٍ أو أسير مالٍ أوركين باطل - هجرة مؤمنين صادقين في غايتهم بارين في وسائلهم مخلصين في مرضاة ربهم ﴿ يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ﴾ هجرة حق في نصره حق انتصروا بها على من أخرجوهم من ديارهم بغير حق . وكان نصرهم في عفوهم ودعوة من ظلموهم إلى الحق فكانوا دعاء إلى الله في صبرهم وهجرتهم دعاء إليه في جهادهم دعاء إليه في عفوهم عمن ظلموهم وأخرجوهم . دعاء إليه في سلمهم وحرهم في أموالهم وأنفسهم . فدخل الناس في دين الله أفواجا مؤمنين بالحق الذي آمنوا به داعين إليه متأخين على نصرته وتأبيده . واثقين أن العاقبة له وأن الفوز والفلاح لمن اتبعه واستمسك به . فكانوا بحق عباد الرحمن الذين وصفهم الله في كتابه وكان من صفاتهم ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ﴾ . فلزموا الحق في الرضا والغضب والسلم والحرب . مع العدو والصديق والقريب والبعيد . فلم يكن قتلهم للنفس قتل مستبيح لها بغير حق . وإنما كان قتالا يدعون فيه إلى الحق وَيَعْفُونَ عمن قاتلهم أَوْ قَتَلَ مِنْهُمْ عند اعلانه لقبول الحق ولا يقف الأمر عند مجرد العفوبل يتكون واحدا منهم له ما لهم وعليه ما عليهم ينسون اساءته ويذكرون أخوته وببشرونه بمغفرة الله له وعفوه عنه . وتلك ورئى مكرمة لا تكون الا لمن اتبعوا الحق من ربهم فطيب نفوسهم وأصلح بهم ﴿ كذلك يضرب الله للناس أمثالهم ﴾ .

وشتان ما بين من يخضع للحق ويتواضع له ومن يستكبر في الأرض بغير الحق شتان

ما بينها في السلوك والاخلاق والمقدمات والنتائج والدنيا والآخرة .

والقرآن الكريم يذكر لنا أصنافا من اولئك الذين يستكبرون في الأرض بغير الحق ويرينا النتائج والعواقب ليحذر من جاء بعدهم أن يسلك سبيلهم أو يكون مثلهم يذكر لنا فرعون وجنوده وما كان عليه وما صاروا إليه .

﴿ وَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُدْعَوْنَ إِلَىٰ الْكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِنَعْلَمَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

(القصص : ٣٩-٤٢)

ويذكر لنا قوم عاد وما كانوا عليه وما صاروا إليه :

﴿ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مَّحْسُوتٍ لِنُنذِرَهُمْ عَذَابَ الْحَزَنِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابَ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

(فصلت : ١٥، ١٦)

﴿ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا  
 فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذَا الْأَغْطَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ  
 يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾  
 ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا  
 ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ  
 اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ  
 بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ  
 خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾

(غافر: ٧٠-٧٦)

والتكذيب بالكتاب تكذيب بالحق . والذين كذبوا بالحق يفرحون بدنياهم  
 ويطمئنون بها ويغفلون عن آخرتهم . يفرحون في الأرض بغير الحق ويمرحون مع أن  
 الفرح يجب أن يكون بالحق لا بالباطل وبما يبقى لا بما يفنى وبما تحسن عاقبته لا بما تسوء .

﴿ ٥٧ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا  
 يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾

(يونس : ٥٨)

ولكن فرح اولئك يكون في اللذة العاجلة لا في سعى الآخرة . فرحهم وانشراح  
 صدورهم في متعة أجسادهم وتحقيق ملاذهم وشهواتهم . وذلك مفض إلى الكبر والبطر  
 مبعد عن الاستقامة والاعتدال . ومن ازداد فرحه ازداد مرحة - اذ المرح شدة الفرح  
 والتوسع فيه - ومشى في الأرض مرحا يظهر الكبر وهو صغير ويحقر الناس وهو حقير وينكر  
 حقوقهم مختالا فخورا وهو لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولا وما يكون من الفرح  
 بالحق لا ترى منه إلا التواضع والبر بالناس والإحسان اليهم والرحمة بهم والاعتراف

بحقوقهم . وهؤلاء فرحهم وسرورهم بحسناتهم وتوفيق الله لهم وانسراح صدورهم بنصر الحق وخذلان الباطل فرحهم في أداء الواجب والقيام بالقسط والعمل بالحق . فرحهم في أن تكون دنياهم في مرضاة ربهم وسرورهم في طلب مغفرته ورضوانه . فرحهم في إعانة مظلوم أو إغاثة مكلوم . في تفريج كربة أو تيسير عسرة أو تحقيق نجدة . فرحهم في حبهم لمعالى الأمور كما أحب الله . فرحهم في كلمة بر وحديث صدق وتقديم نصح . فرحهم في كل ما تحسن عاقبته ويرونه سبيلا لمرضاة ربهم والفوز برحمته . نسأل الله أن يجعلنا منهم بفضلته ورحمته .

اما الذين يفرحون في الأرض بغير الحق - ويصرون ويستكبرون - اولئك سينتهى فرحهم إلى حزن ومرحهم إلى دمار وخسران . وذلك ما انتهى إليه أمر إمامهم حين قال له قومه ﴿ لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴾ فأصر على كبره وعتوه وكفره بنعمة ربه ولم يلق بالألنصيحة قومه فكانت عاقبة أمره ﴿ فحسفنا به وبداره الأرض ﴾ . دُمر بباطله وأخذ بكبره وعتوه وكفرانه بنعمة ربه .

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدَّهَبْتُمْ طَيْبَتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ  
الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ  
تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾

(الاحقاف : ٢٠)

ذاك جزاء الذين يستكبرون في الأرض بغير الحق ويريدون العلو والفساد في الأرض عذاب الهون جزاؤهم بما كانوا يستكبرون وبما كانوا يفسقون . أما الذين ينشدون الرفعة بالحق أو ينتصرون بعد ظلمهم فأولئك ما عليهم من سبيل :

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ  
الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(الشورى : ٤٢)

ان طلب الرفعة بالحق تستهض به الهمم وتقوى العزائم ويزداد به التنافس على البر والتسابق على الخير.

ومن طلب الفردوس الأعلى كف عن المنكرات وسارع إلى الخيرات وأصابها بسلامة قلبه وطهر سعيه ورحمة ربه . وفي ذلك ما فيه من أمن الناس وسلامهم وتوادهم وتعاطفهم .

وللجنة طلابها وللنار أصحابها وسعى هؤلاء غير سعى أولئك وفي الدنيا يكون عمل هؤلاء وأولئك وسعى الآخرة لا ينفك عن الحق ولا يكون بغير حق فمن أرادها سعى لها سعيها ووفق إليه . ومن أراد العاجلة واطمأن بها وركن إليها قاده لغير حق ولم ينل منها الا ما قَدَّر له . وصدق الله العظيم :

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾

(الاسراء : ١٨ ، ١٩)

والدنيا اذا أريدت وحدها طغى طلابها وسعوا في الأرض بغير الحق والآخرة اذا أريدت بر أصحابها وحكموا بين الناس بالحق . ودنيا الناس هي التي تسعد بهؤلاء وتشقى بأولئك . والآخرة هي الجزاء لما يقع في دنيا الناس من حق أو باطل . فأنعم بدين يجعل الجزاء على عمل الخير في الدنيا خيراً والجزاء على عمل الشر فيها شراً . فان في ذلك من الحث على الخير والزجر عن الشر ما فيه :

﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٢٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٢٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٣٠﴾ فَإِنَّ

﴿ الْجَنَّةُ هِيَ الْمَأْوَى ﴾

(النازعات : ٣٧-٤١)

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ

(الزلزلة : ٧ ، ٨)

﴿ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾